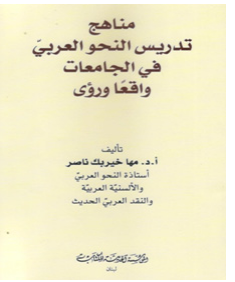

مناهج النحو العربيّ لواقع والرؤى
المؤلفة: مها خيربك

صدر عن المؤسسة العربية الحديثة للكتاب في لبنان، للكاتبة والشاعرة اللبنانيّة: د. مها خيربك ناصر كتابًا بعنوان: مناهج تدريس النحو العربي في الجامعات واقعًا ورؤى. في طبعته الأولى لعام ٢٠١٣. ويقع في (٢٣٧) صفحة من القطع العادي. يأتي صدور الكتاب في سياق الدراسات الأكاديمية/ الواقعية التي تحاول بجديّة قراءة واقع المناهج المتبعة في المؤسسات التعليمية العربيّة، بهدف الاقتراب منها، ووضع الحلول المناسبة للإفادة من إمكانات الطالب، وتطوير بنيته العقلية، باعتباره النواة الحقيقة لمجتمع عربيّ، يكون واعيًا بتشكيل هُويته: لغةً، وتاريخًا، وجغرافيةً.

تسعى الدراسة كما تقول المؤلفة إلى: وضع تصور أوّلي، يساعد على تحديث المناهج وفق ما أنتجته مقولات علمية، تأسس عليها النحو العربي، وأهملتها الدراسات النحوية الجامعيّة الحديثة. ولذلك، والقول لها: سيكون العمل في هذا الكتاب، رصد مناهج تدريس النحو، بشكل عام، من خلال الكتب المنشورة، والكشف عن الأسباب التي أبعدت الدراسات النحوية عن خصائصها، ومقوماتها العلمية؛ لأن الواقع التعليمي الحالي، يشي بأنّ معظم مناهج التعليم المعتمدة في الجامعات، لم تحقق الاهداف المفترضة، ولم تفتح أمام الطلاب مسارات البحث العلمي، ولم تعمل على تنمية الفكر الرياضي المنطقي الذي يوازن بين المعلومة المستهدفة وتطبيقها، ففضحت النواتج النهائيّة، عجز علميتي: التلقين والتلقي المتبعتين في الدرس الجامعيّ.

تقدّم الدراسة قراءة ميدانيّة جريئة، لواقع تدريس النحو العربيّ، آليتها في ذلك وثائق من مناهج النحو العربيّ في الجامعات، ونماذج أسئلة وأخطاء يرتكبها المعلم والمتعلم، فجاءت هذه الدراسة لتكون إضاءة حقيقية على سلبيات التأليف والتعليم ، وتعرض قضايا نحويّة يتم تلقينها لطلاب الجامعات بشكل خاطئ، فكشفت عن الأخطاء المفهوميّة والمنطقيّة والمعرفيّة التي يرتكبها الأستاذ والطالب معًا، ثم قدّمت رؤيا جديدة، تساعد في تطوير وتحديث مناهج تدريس النحو العربيّ.

ضمَّت بنية الدراسة ثلاثة فصول: الأول حول دلالة المصطلح وتجلّياته، وسلّطَ الضوء على المنهج: لغة واصطلاحًا وتداولًا. ونشأة المفهوم، وحركيّة الاستخدام والتداول. ومفهوم المنهج في الدراسات الحديثة، وتجلياته في الدراسات النحوية القديمة والحديثة. وجاء الفصل والثاني حول واقع تدريس النحو العربي في الجامعات. وعالجَ: دراسة القضايا اللغوية المتماثلة والمتمايزة في الكتب الجامعية. ودراسة ميدانية لواقع تدريس مناهج النحو في الجامعات. مستعرضًا واقع المناهج الجامعية في تدريس مادة النحو العربي، ثم

معرفة أسباب التفاوت بين التوصيف والتطبيق، ومقاربة أسباب غياب عادات الفكر عن تطبيق القوانين النحوية.

وأخذ الفصل الثالث فضاءً بعنوان : النحو العربي بين التأصيل والتحديث، وعرضت فيه المؤلفة الاجراءات المنطقية للدراسات اللغوية: الاستقراء، والملاحظة، والتجربة، والقياس، والبرهان، والاستنباط، والاستنتاج. ثم التأسيس للدراسات المنهجية النحوية والتأصيلية التحديثية. وفيه: ماهيّة الثوابت اللغوية، وكيميائيّة العناصر، وتشكيل السياق، ثم النظريات المعرفية، والمنطق الرياضي، والفروض، والبدهيات، والمعطيات، والتحليل، ودراسة مسائل اللغة، وفاعلية التلّقي، وابداعيّة التوظيف. ودراسة تحليلية لظاهرة لغوية. ونماذج من أسئلة للتقييم والتقويم.

تثبتُ الباحثة في بيان دراستها أن للمنهج دورًا رئيسًا في تطوير الأداء التربوي والتعليمي، وتفعيل عملة العصف الذهني وتوظيف المهارات الابداعية، فقد شهدت المناهج، حركات نشطة على امتداد الحضارات الإنسانية من أجل تحصين الفرد بالمعارف والقيم. وتضيف أن حركة المناهج تطوّرت، وغياتها مواكبة تطلعت الفكر الإنساني الذي يعبر عن ذاته بلغة تنطق به وينطق بها. وصار المنهج علمًا له ثوابته وخصائصه. فحظيَ المنهج اللغوي باهتمام الفلاسفة واللغويين والعلماء. فليس الهدف بناء منهج للنحو العربي؛ لأن البناء يبدأ من الصفر ، بل الهدف ابتكار أدوات جديدة للمناهج النحوية الحديثة، فيكون منطلقها محاورة التراث النحوي، بوصفه مقدمات صحيحة، تقود بالاستنباط والقياس عليها إلى مناهج صحيحة أصلية من حيث الجوهر، ومتطورة من توظيف الأدوات والأساليب.

أما المعوقات ترصدها الدراسة والتي تقف حائلًا، دون تطوير مناهج النحو العربي في الجامعات العربيّة: خلو المناهج النحوية من أدوات المنهج الاستقرائي الذي يعتبر العمود الفقري للدراسات الأكاديمية، والقطيعة بين علمية النحو، وتوصيفه الخاضع لمؤثرات شخصية تقديسًا صنميًا للتراث النحوي، أو رفضًا لأية علاقة للنحو بالمنطق، فكثرت محاولات التحديث من دون الوصول إلى بدائل، وأيضًا، عدم الثقة بالموروث والانتماء إليه، والشعور بعجز اللغة العربية عن مواكبة التطور التكنولوجي، وعزل الدراسات النحوية عن الوظيفة الدلالية.

تقترح المؤلفة في الكتاب أنّ يتمّ : اعادة تنظيم مناهج النحو، بما يتوافق والترتيب المنطقي، ويضمن تعزيز الفكر الشموليّ المُدعم بروح البحث العلمي، وتسجيل خصائص الظواهر اللغوية، ومن ثم صياغة هذه الخصائص صياغة عقلية محكمة، تساعد في انتاج عدد لا متناهٍ من السياقات اللغوية السليمة والصحيحة والمعبّرة. وتحفيز طاقات التلقي والتوظيف اللغوية بالكشف عن الصلة المباشرة وغير المباشرة بين قواعد اللغة وقوانين المنطق أي العلاقات الكامنة بين قوانين المنطق، وعدد من التصورات الأساس في عقل الإنسان.

وكذلك، تعزيز الوعي بعملية النحو العربي؛ لأن النحو يفتح باب التأويل العلمي والتحليل والرّبط،

ويكشف أمام الباحث عن دور العلوم اللسانية في انتاج العلوم المعرفية والاجتماعية والنفسية. وتشجيع الطلاب على المشاركة في تقييم توصيفات المنهج المراد تطويره وتحليل محتواه وتحديد نواحي القصور والمشكلات. ووضع استراتيجية لتطوير مناهج النحو وتحديث أساليب التقييم والتقويم، وذلك انطلاقًا من التراث النحوي القابل للنقد، والنقض، والتحديث، والتطوير.

قراءة عدنان الهلاليّ